**المحاضرة 5**

**اللهجات العربية القديمة**

تنتمي العربية إلى أسرة اللغات السامية، وقد انبثقت هذه اللغة بجميع لهجاتها من مجموعة من اللهجات التي تسمى بلغات شمال الجزيرة العربية القديمة، أما لغات جنوب الجزيرة العربية أو ما يسمى الآن باليمن وأجزاء من عمان، فتختلف عن اللغة العربية الشمالية، ولا تشترك معها إلا في كونها من اللغات السامية، وقد كان علماء المسلمين المتقدم ون يدركون ذلك حتى قال أبو عمرو بن العلاء: "ما لسان حْْيَر وأقاصي اليمن بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا".

وقد تطورت اللغة العربية عبر مئات السنين حتى أصبحت قبيل الإسلام تسمى لغة مضر، وكانت تستخدم في شمال الجزيرة، بينما كانت اللغة العربية الجنوبية القديمة لغة حْْيَر( نسبة إلى أعظم ممالك اليمن حينذاك.وقد تعددت لغات العرب، فكانت هناك لغة لقريش، ولغة لهذيل، ولغة لربيعة، ولغة

لقضاعة... وكل قوم من العرب يفهمون غيرهم بسهولة.

وكان نزول القرآن في تلك الفترة هو الحدث العظيم الذي خلّد إحدى لغات العرب حينذاك، وهي لغة قريش والحجاز.وإذًا، فقد كان العرب على قسمين: العرب القحطانية والعرب العدنانية، والجميع وإن كانوا عربًا من أصل واحد، ولغتهم في الأصل كانت واحدة، فإن النظام الخاص الذي ساروا عليه في الحياة والمعيشة كفيل بأن يجعل كُلا منهم يتخذ لنفسه أسلوبًا خاصًّا في التعبير وكيفية النطق بالألفاظ.

ولا شك في أن عربية ك ل من القسمين دخلها بمرور الزمن بعض التغيرات، فكان هناك بعض اختلاف بين عربية الجنوب وعربية الشمال، كما عبر عن ذلك أبو عمرو بن العلاء في قوله السابق، وكل من هذين القسمين الكبيرين قد تكاثر، فتعددت قبائله، وتبع ذلك أنْ صار لكل قبيلة لهجة خاصة، بينها وبين غيرها من أخواتها اللهجات الأخرى بعض الاختلاف في الأصوات ودلالات الألفاظ، كما هو المشاهد في جميع الأقطار في شتى العصور ، فلا يكاد يخلو عصر من وجود خلافات لسانية بين كل مكان وآخر.

وقد بيّن ابن فارس في كتابه )الصاحبي( أن لهجات العرب تختلف فيما بينها من وجوه:

**1 الاختلاف في الحركات:** كقولنا نَستعين بفتح النون وكسرها، قال الفراء: هي مفتوحة في لغة قريش وأسد، وغيرهم يقولونها بكسر النون.

**2 الاختلاف في الحركة والسكون:** مثل قولهم معَكم ومعْكم، بفتح العين وتسكينها.

**3 الاختلاف في إبدال الحروف:** نحو أولئك وأولالك ومنها قولهم: أن زيدًا وعَنَّ زيدًا، ومن ذلك الاختلاف في الهمزة والتليين نحو مستهزِئون ومستهزُون.

**4 الاختلاف في التقديم والتأخير:** نحو )صاعقة) في لغة الحجازيين، و)صاقعة( في لغة التميميين.

**5 الاختلاف في الحذف والإثبات:** نحو استحيَيت واستحيْت وصددت وأصددت.

**6 الاختلاف في الحرف الصحيح يبدل حرفًا معتالا:** نحو أمَّا زيد وأيْما زيد.

**7 الاختلاف في الإمالة والتفخيم:** مثل قضى ورمى، فبعضهم يفخخّم وبعضهم يميل.

**8 الاختلاف في الحرف الساكن يستقبله مثله:** فمنهم من يكسر الأول، ومنهم من يضم، فيقولون: "اشترَوُا الضلالة"، و"اشترَوِ الضلالة"، بضم الواو وكسرها.

**9 الاختلاف في التذكير والتأنيث:** فإن من العرب من يقول: هذه البقر وهذه النخيل، ومنهم من يقول: هذا البقر وهذا النخيل.

**10 الاختلاف فِي الإدغام:** نحو: مهتدون ومُهَدُّون.

**11 الاختلاف في الإعراب:** ما زيد قائمًا وما زيد قائمٌ، وإنّ هذين وإنّ هذان وهذان بالألف دائمًا لغة لبني الحارث بن كعب.

**12 الاختلاف في صورة الجمع:** نحو أسْرى وأسَارى.

**13 الاختلاف في التحقيق والاختلاس:** نحو )يأمركم( بضم الراء وتسكينها، ونحو :عُفيَ له بتسكين الفاء وكسرها.

**14 الاختلاف فِي الوقف عَلَى هاء التأنيث:** مثل )هَذِهِ أُمَّهْ( و)هَذِهِ أمَّتْ)

**15 الاختلاف في الزيادة:** نحو )أنظر وأنظور( والواو في )أنظور ( تسمى واو الإشباع مثل قولهم )البرقوع(، والعرب تصل الضمة بالواو. وحكى الفراء: أنظور، في موضع أنظر؛ وأنشد:

لَوْ أَنَّ عَمْراً هَمَّ أَن يرَقُودا \* فانْهَضْ، فشُدَّ المئِزَرَ المعْقُودا أراد: أن يرقد، فأشبع الضمة ووصلها بالواو وقال ابن فارس: "يقع في الكلمة الواحدة لغتان كقولهم: الحِصاد والحَصاد، ويقع فيها ثلاث لغات، نحو: الزُّجاج والزَّجاج والرزجاج، ويقع فيها أربع لغات، نحو: صداق والصَّداق والصَّدَقة والصُّدُقة، ويكون فيها خمس لغات، مثل: الشَّمال والشَّمَل والشَّمْل والشَّمْأل والشَّمِل، ويكون فيها ستُّ لغات نحو: قُسْطاس وقِسْطاس وقِصْطَاس وقُسْتَاط وقِسَّاط وقُسَّاط" .

وقد كان لكل لهجة من اللّهجات ميزة واضحة عرفت بها، اعتبرها اللغويون هِنة أو عيبا، ولم تسلم من ذلك سوى لغة قريش، وكانت قريش تستمع إلى هذه اللغات، فتختار منها أحسنها وأصفاها، وتترك منها ما تراه مخلًّا بالفصاحة، وقد نقل السيوطي عن أبي نصر الفارابي: "أن قريشًا كانت أجود العرب انتقادًا للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعًا وإبانة عما في النفس .

ومن هنا كانت لغة قريش هي أفصح لغات العرب، والسبب في ذلك أنها تكلمت بما استحسنته من لغات العرب، الجاهلية، وقد رووا عن ثعلب: "ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم، وكشكشة ربيعة،

وكسكسة هوازن، وتضجّع قيس 4 ، وعجرفية ضبة 5 ، وتلتلة بهراء 6 " 7 .

وسنبين فيما يلي ما تميزت به لهجات بعض القبائل العربية:

1 عجعجة قضاعة: وهي إبدال الياء المتطرفة بعد عين جيما، نحو: الساعج خرج معج، وفقيم تبدل الياء جيما إن وقعت في الآخر مشددة أو ساكنة، فالأول كقول الشاعر:

خالِي عُوَيْفٌ وأَبُو عَلِرج \* طْعِمَانِ اللَّحْمَ بالعَشج

فقوله علج هو عَلِيّ، والعَشِج: العشي .

2 فحفحة هذيل: وهي إبدال الحاء عينا، كقولهم: عَلَت العَياة لكل عيّ، أي: حلت الحياة لكل حي.

3 عنعنة تميم وقيس: وهي جعل الهمزة المبدوء بها عينا، نحو: عِنّك فاضل، وعنْت كريم، في: إنك فاضل، وأنت كريم.

4 استنطاء سعد وهذيل والأزد وقيس والأنصار: وهو جعل العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء، فيقولون في أعطى درهما: أنطى درهما، وقرئ شذوذا: "إنا أنطيناك الكوثر"

5 كشكشة ربيعة ومضر: وهم في ذلك طوائف؛ فطائفة تجعل بعد الكاف المخاطبة المؤنثة شينا في الوقف فقط وهو الأشهر، وطائفة تثبتها في الوصل أيضا، وطائفة تجعل مكان كاف المخاطبة المؤنثة شينا مكسورة في الوصل ساكنة في الوقف. وحكى بعضهم أنه سمع أعرابية تقول لجاريتها: "ارجعي وراءشي، فإن مولاشي يناديشي" أي: وراءك ... إلخ،

وروي قول الشاعر:

فعَيْناشِ عَيْنَاهَا وجِيدُشِ جِيدُها \* ولكِنَّ عَظْمَ السّاقِ مِنْشِ رَقِيقُ

أي:

فعيناكِ عيناها وجيدكِ جيدها \* ولكِنَّ عَظْمَ السّاقِ مِنْكِ رَقِيقُ

6 كسكسة ربيعة ومضر: يجعلون بعد الكاف أو مكانها سينا في خطاب المذكر ليفرقوا بين خطاب المذكر وخطاب المؤنث، يقولون: "عرفتسْ لما أن نظرتس".

وقال الجاحظ في البيان والتبيين: قال معاوية يوما: من أفصح الناس؟ فقال قائل: قوم ارتفعوا عن لخلخانية الفرات، وتيامنوا عن كشكشة تميم، وتياسروا عن كسكسة بكر، ليس في لغتهم غمغمة قضاعة ولا طمطمانية حْير، قال: من هم؟ قال: قريش .

ومع أن اللغويين القدامى وغيرهم اعتبروا هذه الخصائص السابقة هِنات لغوية، إلا أنها مادامت العرب قد نطقت بها، فهي ليست خطأ في اللغة؛ قال ابن جني: "إلّا أن إنسانًا لو استعملها لم يكن مخطئًا لكلام العرب، لكنه كان يكون مخطئًا لأجود اللغتين. فأمَّا إن احتاج إلى ذلك في شعر أو سجع فإنه مقبول منه، غير منعيّ عليه، وكذلك إن قال: يقول على قياس من لغته كذا كذا، ويقول على مذهب من قال كذا كذا، كيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغةٍ من لغات العرب مصيب غير مخطئ، وإن كان غير ما جاء به خيرًا منه" .

1 اللخلخانية: قيل: العجمة في المنطق، وقيل: هي في مثل قولهم: مشا الله كان، يريدون ما شاء الله كان.

2 غمغمة قضاعة: وهي إخفاء الحروف عند الكلام فلا تكاد تظهر.

3 طمطمانية حمير: وهي جعل )ال( )أم(، نحو: امْهواء في الهواء.